ترجمة عبارات الجنس في قطاع الخدمات العمومية

Mohamed EL-MADKOURI MAATAOUI
Autonomout University
of Madrid, Spain
el-madkouri@uam.es

تتمثل غاية هذا البحث في إجراء تحليل ووصف لبعض مظاهر اللغة التي ترتبط معرفتها والتعبير عنها واستقبالها بالبعدين الاجتماعي والثقافي بعيداً عن المظاهر الشكلية البحتة ، ففي بعض الأحيان قد نفهم مجموع معاني الكلمات من غير إدراك للمغزى الخفي المراد منها لأننا قد نرفض بعض التركيبات اللغوية ونصفها بالغرابة؛ فتصبح بالتالي فاقدة للمعنى من منظورنا الاجتماعي والثقافي الخاص، في الوقت الذي تكون فيه محملة بالمعاني من وجهة نظر قائلها بحسب السياقين الاجتماعي والثقافي الموجِّهَيْن لعملية القول.
تماشيا مع هذا الطرح، ولإظهار مثل هذا النوع من التراكيب اللغوية، سأتناول الإشارات والتعبيرات ذات المضامين الجنسيّة التي يتعيّن ترجمتها من العربية إلى الإسبانية في قطاع الخدمات العامة، مركزا بصفة خاصة على الترجمة الفورية لأنها، بعكس الترجمة المكتوبة، تتطلب وجود الأضلاع الثلاثة لعملية التواصل وهم: مقدّم الخدمة والمستفيد منها والمترجم.

الكلمات الدليلة: الترجمة الفورية-، إشارات ذات مضامين جنسيّة، قطاع الخدمات العامة.

إن الوجود الفيزيقي للأضلاع الثلاثة لعملية التواصل يحدد الطريقة التي يتم بمقتضاها بناء وتفسير التراكيب اللغوية، ومن ثم ليس من الضروري فقط تمكّن المترجم من الأسس الشكلية للغتين محل الاتصال، وإنما أيضاً معرفة تامة بالقواعد الاجتماعية والثقافية التي تقضي ببناء التراكيب اللغوية، وكذلك كيفية تفسيرها في هذا الإطار؛ والحال أن الاختلافات لا توجد بين البنيات اللغوية فحسب بل في أساليب استعمالها كذلك نظرا للاختلافات السوسيوثقافية. وعليه، فليس الهدف، في هذا المقام، التأسيسُ لمجموعة من الثوابت الاجتماعية أو الثقافية وإنما محاولة وصف وتفسير هذه "الحتمية" السياقية لبعض التعابير اللغوية.

ينطلق البحث من القاعدة المسلّم بها التي تقضي بعدم إمكانية فصل التركيبات اللغوية عن الإطار الاجتماعي والثقافي الذي أسهم في تكوُّنها و بلورتها مع عدم الاستغناء عن التفسيرات الاجتماعية المتضمنة لها. فهذا السياق بالتحديد متحكم في المراد وغير المراد من التراكيب اللغوية بصرف النظر عن طبيعتها الشكلية، باعتبار قدرة الثقافة على صوغ وتفسير التعبيرات اللغوية الخاصة بجسد الإنسان وجنسه. انطلاقا من هذه المسلمة الأولى، ينبني البحث عن فرضية ثانِية مفادها أن المشاعر الإنسانية واحدة في كل شعوب العالم (مثل الحب والكراهية والتنافسية وغيرها)، وأنّ الثقافات المختلفة محدِّدة لطريقة ومكان وزمان التعبير عنها، بمعنى أن الشعور واحد في مقابل طرائق التعبير عنه المتعددة. لهذا، فالترجمة الفورية في المجالات الاجتماعية تعكس بعض الصعوبات، خاصة عندما يلتقي إطاران ثقافيان يتعامل كل منهما مع الجسد والحميمية والمساحات الخاصة بهما بطريقة مُباينة للأخرى. فمفهوم كل من الحيز العمومي والحيز الخصوصي وما يمكن التعبير عنه في الأول وما يجب الاحتفاظ به للثاني يؤثر،لاريب، على كيفية

تركيب واستيعاب التعبيرات اللغوية وكذلك ترجمتها من لغة إلى أخرى، علما أننا لا نُعْنى في هذه المقالة بالملامح الصوتية أو الصرفية، بل باستخداماتها وممارساتها؛ فاللغة بالنسبة للمترجم -قبل كل شيء- تعابير ذات معنى.

ممارسات خطابية

يقوم المترجم بعمله في مواقف اتصال تحتاج إلى مجموعة من المهارات إلى جانب معرفته بلغتَيْ الترجمة. فمعرفة المترجم باللغات الأخرى التي يكتسبها تتحصَّل خلال مشوار إعداده الطويل بشكل منظم وفقا لقواعد منهجية، إلا في حالات استثنائية. وهذا يعني أن عملية تعليم/تعلّم اللغات قد تمت على أساس لغات نموذجية، حيادية وعامة، فما يتم تعليمه/تعلّمه للغة العامة ذات الاستخدامات النموذجية تشترك فيها جميع أماكن وأطياف الخريطة اللغوية والاجتماعية لهذه اللغة. إنها لغة حيادية لأنها لا تعنى بالاختلافات الناتجة عن تنوعها: حيادية من وجهة نظر الصوتيات، بحيث يتم تقديمها للمتعلمين الجدد على أنها نموذج واحد عام يجب اتباعه. في مثل هذه الممارسات اللغوية -التي يتم تنمية جانبها الشفهي بواسطة محترفين متخصصيين وتسجيلات تم تنقيحها في معامل صوتيات- يختفى كل ما نستطيع أن نجده في لغة الشارع الحية، التي يتكلمها أشخاص من مختلف أنحاء العالم، وبطريقة نطق وممارسات خطابية مختلفة، قد تؤثر في بعض الأحيان على عملية التواصل بين من يفترض أنهم أبناء لغة واحدة.

هناك بالفعل حالات لبعض المترجمين الإسبان إلى اللغة الانجليزية ممن واجهوا صعوبات في التفاهم مع أشخاص قادمين من بلاد أخرى ناطقة بالإسبانية، ففي مطار مدينة "سيدني" مثلا، نلفي حالة مترجم إسباني لم يستطع التفاهم منذ اللحظة الأولى مع مواطن كوبيٍ يطلب اللجوء السياسي، مما جعل الشرطي الاسترالي يشك في جنسية الكوبي وفي صحة الاسبانية التي يتحدثها. إذ افترض رجل الشرطة منطقيا يُسر تفاهمهما، وما دام الأمر غير ذلك، فقد كان على حق في التشكيك بهويته الكوبية. يوضح المثال المضروب ما يحدث فعليا بالنسبة للترجمة الفورية في قطاع الخدمات العمومية، حيث اعتياد أسماعنا على طريقة نطق المذيعين المحترفين في قنوات، الـ "بي بي سي" أو الـ"سي ان ان" أو "راديو فرنسا الدولي" أو "الجزيرة"، قد يسبب متاعب عندما يكون الشخص المترجم له من نيجيريا أو من ساحل العاج أو من جنوب السودان، إلا أن هذه الصعاب –صوتية كانت أو معجمية بشكل أساسي- يمكن التغلب عليها بالمراس والاحتكاك، على خلاف مظاهر أخرى من الممارسات الخطابية يتطلب تجاوزها وقتاً طويلاً.

إنّ لكنة الكلام والحركات والألفاظ -التي قد تبدو لنا غريبة في بداية الأمر- تتلاشى خصوصيتها وغرابتها تدريجيا مع الممارسة، ومثالنا على ذلك مترجم منحدر من "مدريد" يذهب لمدة أسبوعين لريف منطقة "اكستريمادورا" ليقوم بالترجمة بين فلاحي البادية وباحثين في حقول التين ناطقين بالانجليزية. فقد يشعر المترجم في البداية بغرابة لكنتهم في الكلام واختيارهم للكلمات،لكنه شيئا فشيئا سيتعود عليها، حتى أنه بعد مرور الوقت يمكنه التحدث معهم -إن جاهد نفسه- بلكنتهم الخاصة، وذلك بعد أُلفته بالقواعد الصوتية لاستخدام اللغة من قبل سكان هذه المنطقة الجغرافية وبالتحديد من قبل أصحاب هذه المهنة.

إلا أنّ هذا الأمر يصعب تجاوزه إذا كانت قواعد استخدام اللغة بعيدة عن نظامها اللغوي، فمن وجهة النظر اللغوية البحتة، يستطيع الفرد تحدُّثَ أية لغة بشكل صحيح إذا ما أتقن قواعدها النحوية وطريقة استخدام مفرداتها. على الرغم من ذلك، هناك بُعد آخر لفكرة إتقانِ اللغة وتحدُّثِها بشكل صحيح، قواعده غير واضحة المعالم، تنبع بشكل

رئيسي من الثوابت الاجتماعية والثقافية للمارسات الخطابية. هذه الثوابت هي التي تنظم وتحدد القول وكيفية تحققه والمسكوت عنه، وبرغم صحة ما أكده "رومان جاكوبسون" (1959) من أن ما يقال في لغة معينة يمكن قوله أيضاً في لغات أخرى، فإن الثوابت الثقافية تضع حداً لإمكانيات الكلام، وتنظّم إمكانيات التواصل الإنساني وطريقة التعبير عن الأفكار. إن الثوابت الثقافية والاجتماعية تفرض نفسها على قواعد الممارسات الخطابية، كما في حالات "التابوهات" أو المحظورات ، على سبيل المثال:

> التابوه يأتي على نوعين: 1)إيجابي، عندما يكون شيء ما مفعما بقوة روحية فلا يجب الاقتراب منه كثيراً (تابوت العهد عند اليهود). 2) سلبي، عندما يكون شئ ما ملوثا ولا يجب الاقتراب منه.(Nida y Taber, 1975:115)

ومن هنا يكون موضوع المحظورات الخطابية محدداً بطريقة ما لفهم الخطاب في الترجمة الفورية في قطاع الخدمات العمومية. إلاأنه تجدر الإشارة، هنا، إلى معلومة نراها مهمة جداً بالنسبة لترجمة المضامين الجنسية بين العربية والإسبانية، وهي كون الجنس في حد ذاته ليس من المحظورات (لا الإيجابية ولا السلبية من وجهة نظر التواصل الخطابي بين متكافئين)، إنما المحظور هو بعض التراكيب اللغوية التي تشير إليه علانيةً، بمعنى أنه يمكن التحدث بحرية عن الجنس، لكن مع مراعاة متى وأين ومع من نتحدّث. إن المكان والزمان والمخاطب هي عناصر تحدد خطاب الجنس في المنظومة العربية التقليدية .

إن الثقافات العربية تفرض قواعدها على الممارسات الخطابية عن الجنس، وليس الدين كما قد يفترض البعض للوهلة الاولى. ذلك، وعكس ما قد يعتقد، أن الخطاب الديني الإسلامي يعتبر أكثر انفتاحاً في الحديث عن التربية الجنسية مقارنة بالخطاب اليومي المعمم. إذ بإمكان الإمام أو الخطيب تناول هذا الموضوع من فوق منبره وأمام جمع من الرجال والنساء من مختلف الأعمار، الأمرُ الذي قد لا يحدث مع أنواع أخرى من الخطاب، باستثناء قاعات المدرسة، والمسألة لا تشمل جميع الدول العربية الإسلامية. تعد هذه الظاهرة أشبه -في ثنائيتها الدين/الثقافة- بالفصل في المكان بين الرجال والنساء في بعض البلاد الإسلامية، ففي الحرم الشريف يقف الرجال والنساء جنباً إلى جنب، يطوفون حول الكعبة ويصلون الصلوات، كل في مكانه، بدون أي نوع من أنواع الفصل. حتى أن الخليجيات وغيرهن ممن ترتدين النقاب يكشفن عن وجوههن عندما يدخلن الحرم المقدس. على الرغم من ذلك، فبعد الانتهاء من الطواف والخروج إلى الحيز الدنيوي، نراهم يصلون منفصلين وتؤدي نساء دول الخليج العربي صلاتهن غير كاشفات الوجوه، فالمسألة،إذن، ليست دينية وإنما ثقافية بالأساس، وعلى نفس الشاكلة، عندما نسمع في الخطبة جملة "لا حياء في الدين" ندرك وقتها أن ما يأتي بعدها يدور في فلك العلاقات الجنسية والزوجية بشكل عام، كما أنه قد يعد بمثابة دعوة للمؤمنين للسؤال عن هذه الموضوعات.

الواقع أن هناك الكثير من الأمثلة لهذه النوعية من الخطاب على الشابكة، حتى بالنسبة لأنظمة دينية كالنظام الإيراني حيث تفرض الثقافة قواعدها على المجتمع، ويتساوى في ذلك العرب المسيحيون والعرب المسلمون. وفي بعض الأحيان تكون بعض الفئات في المجتمعات المسيحية العربية محافظة أكثر من المسلمة، لكونها أقلية، كما هو الحال في بلدان كالأردن وفلسطين والعراق،على سبيل المثال، بناء على قاعدة كون الأقليات أكثر محافظة من الأغلبية في المجتمع الذي تعيش فيه، أما المظاهر التي قد لا تنطبق عليها هذه القاعدة في المجتمعات العربية فهي المتأثرة بالاستعمار الغربي، خاصة الفرنسي منه.

بناء الخطاب

لا يمكن تجاهل الأساس اللغوي في بناء الخطاب، ذلك أنه على الرغم من أن كلمة "ثقافة" وإطارها الدلالي يستخدمان بتواتر في الوقت الراهن، فإننا عندما نتحدث عن بناء وتلقيّ الخطاب، خاصة في مجال الترجمة المكتوبة و الفورية، لا يجب إغفال الأساس اللغوي لهذا البناء؛ فالمكونان اللغوي والثقافي للخطاب ليسا متناقضين أو متضادين، بل متكاملين، سواء بالنسبة للجانب الخاص بفهم الخطاب الأصلي أو بالنسبة لخطاب المترجم. إن اللغة والثقافة مصطلحان ينتميان لمرحلتين مختلفتين في التعامل مع الترجمة المكتوبة والفورية وعلومهما في الثلاثين عام الماضية. بالفعل، فإنّ النظرة اللغوية البحتة للترجمة كانت سائدة في الستينيات والسبيعينيات من القرن العشرين،في حين تسود الآن النظرة الثقافية. كانت التعريفات السائدة في تلك الفترة من قبيل ما يلي (الموسوعة الكبيرة: 1976):

> الترجمة هي حالة خاصة من التواصل اللغوي. وبمعنى أعم و أشمل، فهي تشير إلى أية وسيلة للتواصل بين اللغات تسمح بنقل المعلومات بين المتخاطبين من لغات مختلفة. فالترجمة تحمل رسالة من لغة المصدر أو المنبع وتنقلها إلى لغة الوصول أو الهدف.

بالتالي يمكن الجزم بأنه في الوقت الراهن يكون المجال الدلالي لكلمات: "ثقافة، ثقافي، بين الثقافات، وما وراء الثقافات" قد حل محل كلمات مثل "لغويات، ولغويات بينية". لو افترضنا أن الاستشهاد السابق قيل في الوقت الراهن، لاستعملنا بكل تأكيد التواصل الثقافي أو التواصل بين الثقافات بدلاً من التواصل اللغوي أو التواصل بين اللغات. لعل هذا التغير في الطرح يستمد شرعيته من منطقه التاريخي إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ إدراك الظاهرة اللغوية في تطور مستمر.

ومنذ أن تحوّلت اللغويات/اللسانيات من كونها تعتني بالجملة بشكل حصري إلى التركيز على ما هو خارج نطاق الجملة في التحليل اللغوي، أصبح المكوّن اللغوي ليس كل ما في الجملة مثلا، بل مكون واحد من بين مكونات عدة وإن كان لازال أساسيا، وكلها تتداخل في عمليات الفهم والصياغة التي تتطلبهما عملية الترجمة؛ وعليه يمكن، من منظور الترجمة في الخدمات العمومية وبالاستدلال بما قاله Íñiguez Rueda (2009, 109) تأكيد:

> اعتبار أي خطاب مجموعة من الممارسات اللغوية التي تحافظ على مجموعة من العلاقات الاجتماعية وتروج لها. لذلك فالتحليل يركز على دراسة كيفية عمل هذه الممارسات في الحاضر للحفاظ عليها والترويج لها، أي الكشف عن سلطة اللغة كممارسة تأسيسية وتنظيمية.

إنّ التفاعلات الخطابية للحديث وضغوط المجتمعات وقواعد قيمها الأيديولوجية والثقافية المهيمنة، لها نفس القدر من الأهمية والتأثير عندما يتعلق الأمر بالترجمة الفورية في قطاع الخدمات العمومية.

السياق الاجتماعي والثقافي لتبادل الخطاب

يتضح مما سبق أن الممارسات اللغوية والخطابية في عمل المترجم تتم في سياق محدد، مع متكلمين ومستمعين محددين، يتكلمون ويشكلون تراكيبهم اللغوية بالطريقة التي اعتادوها اجتماعيا وبشكل تعتبر فيه ثقافاتهم مُحددا طبيعيا لهذه التراكيب. فالنيجري أو التشادي يعبران عن نفسيهما بالإنجليزية أو الفرنسية بنفس التلقائية التي يتمتع

بها متكلم اللغة الأصلية. إلا أن هذه الطريقة العفوية والطبيعية الخاصة بهؤلاء المتحدثين قد تبدو في بداية الأمر غريبة بالنسبة لمترجم اللغات الأوروبية لكونها مغايرة لشكل اللغة التي كان قد تعلمها هو بطريقة ممنهجة وبطرائق تعليمية حديثة. (El-Madkouri y Soto Aranda: 2012) وهذا "الانحراف" عن اللغة قد يصل في أحيان إلى تهديد عملية التواصل التي يعمل المترجم على تحقيقها. وفي هذا السياق، فإن لكنة الكلام والمفردات وبعض التعبيرات اللغوية قد تبدو غريبة على آذان مترجم اللغات الاوروبية.(El-Madkouri y Soto Aranda: 2012) وبالفعل، فإن كثيرا من المترجمين يلتمسون العذر في كون هؤلاء المتحدثين "لا يفهم عنهم شيئا لأنهم يتكلمون بطريقة غريبة". فإذا كان المترجم أوروبيا والمتحدث إفريقيا، فغالباً ما يلقي باللوم على الثاني بسبب إفشاله عملية التواصل. كما لو أن المترجم ينتظر منه أن يتكلم بنفس الطريقة التي يتحدث بها المذيعون المحترفون الذين تعوّد هو على سماعهم في مرحلة تعلمه للإنجليزية أو الفرنسية. وتزداد مهمة تحقيق عملية تواصل سلسة تعقيداً بسبب التداخلات الاجتماعية والثقافية الخاصة باللغة والثقافة الأصليتين.

التأثيرات الاجتماعية في الممارسات الخطابية

تعتبر القيود والظروف الاجتماعية فاعلة في إنجاح عملية التواصل في قطاع الخدمات العمومية. ففي اللغة الإسبانية، على سبيل المثال، يعتبر تأكيد وإظهار المؤنث على مستوى الخطاب، على الرغم من ضم المذكر للإثنين، فهذه الظاهرة مثلا قاعدة اجتماعية وليست لغوية. هذا النوع من القواعد الاجتماعية يفرز تركيب تعبيرات من النوع التالي:

- صديقي/صديقتي العزيز/العزيزة
- أو ذلك التعبير الوزاري الشهير غير الصحيح في اللغة الإسبانية "miembras" عضوات" بدلاً من "أعضاء".أو اختيار عبارة "رئاسة الجمعية" بدلاً من "رئيس الجمعية" في القانون التأسيسى لعدد من الجمعيات الإسبانية.

يكمن في باطن مثل هذا النوع من القواعد مكوّن أيديولوجي قوي، ليس دائماً قابلا لإيجاد مرادف له في اللغات الأخرى من المنظور الاجتماعي-اللغوي، حتى لو كانت لغة التواصل واحدة من اللغات التي تم تعلمها بشكل منهجي،كالإنجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية مثلا، وهذا هو الحال بالنسبة لبعض الدول الإفريقية الناطقة بالإنجليزية أو الفرنسية، كنيجيريا والكاميرون، على سبيل المثال. لا يتوقف الأمر هنا على المتغيرات اللغوية المحسوسة وأوجه اختلافها مع اللغات الأصل وإنما يمتد إلى عملية بناء الخطاب اللغوي الشفهي أو المكتوب نفسها، فالمتحدّث ينطلق من مجموعة من المعارف الظاهرة والباطنة المختلفة من مجتمع إلى آخر، مع أن كليهما يتحدث نفس اللغة. لو أضفنا إلى ذلك أن المتلقي لا ينطلق من نفس تلك الثوابت أو المسلمات الاجتماعية أو الأيديولوجية، استطعنا حينها أن ندرك كيف يحتاج المترجم إلى مجموعة معارف تتجاوز مجرد التمكن من المظاهر الشكلية للغة الأصل.

هذه المتغيرات اللغوية والتعددية الخطابية هي السبب في فشل التواصل إذا كان المترجم غير معتاد عليها أو حاول تطبيق طرائقه الخاصة في الفهم على ممارسات لغوية مختلفة. بمعنى أن المترجم قد يفهم المعنى اللغوي لمن يقوم بالترجمة له، لكنه لا يدرك تماماً مغزاه وما أراد التعبير عنه.

الحياء، على سبيل المثال، يجعلنا نقول شيئا نشير من ورائه إلى شيء آخر ومضامين أخرى غير مصرّح بها في الخطاب. في مثل هذه الحالات يتأرجح المترجم المبتدئ بين عدم الفهم وسوء الفهم. ينتج عدم الفهم عندما لا يستطيع المتلقي فهم أي شيء أو أن يفهم فقط جزءاً من الخطاب الذي تم بناؤه بطريقة مغايرة بسبب الحياء. وتتأرجح ردة فعل المترجم بين الثقة العمياء في نفسه وفي ما يعتقده، وبين روح المسؤولية المهنية، لذا فالمترجمون يتجاوبون مع هذه المواقف بطريقتين: إما أن يقول البعض إن المتحدث يقول كلاما غير مفهوم، ملقياً بذلك باللوم على الطرف الأول في فشل التواصل، وإما أن يسأل إذا ما كان هناك شيء غامض أو نقص في التكوين أو المعرفة يمنعه من فهم ما يسمع على الوجه الأكمل، أي أن العيب فيه وليس في غيره. أما سوء الفهم فينتج عندما يفسر المتلقي خطاب المتكلم بطريقة مغايرة لما أراد التعبير عنه. وعلى الرغم من أن عدم الفهم يأتي في غير صالح المهاجر في قطاع الخدمات العمومية، فإن سوء الفهم يعتبر أكثر ضرراً لأنه يجعل المهاجر أو طالب اللجوء السياسي مثلا يقول أشياء لم يقلها (أو لم يرد قولها) وربما لم يفكر بها أساسا. ولا يدرك المترجم في أي من تلك الحالات أنه قد حدث خطأ في الترجمة، أما مقدم الخدمة (الموظف الحكومي) فإنه يتخذ قراره بناء على معلومات غير صحيحة وقد يصل لافتراض سوء النية في متلقيّ الخدمة (المهاجر). وهذا الأمر لا يحدث فقط مع اللغة العربية، حيث يلعب الإطار الثقافي دوراً مهما في استخدام التعبيرات الخفيفة الوقع أو الرمزية، وإنما أيضاً مع فرنسية كثير من السنغاليين مثلا.

تجدر الإشارة إلى أنّ هذه التعبيرات الخفيفة الوقع وما يترتب عليها من سوء فهم لا تحدث فقط بين الثقافات المتغايرة، كالعربية والإسبانية، بل قد تحدث أيضاً في قلب نفس الثقافة. في هذاالسياق، فالعربية المتداولة في المغرب العربي، وبدون أن تكون صريحة بما يكفي كالإسبانية، تعد أكثر صراحة وانفتاحاً من العربية المتداولة في بلاد الخليج العربي أو ليبيا مثلا، هذه الفروق الثقافية مهمة جداً في حالات الترجمة المكتوبة ومحدد رئيسي وأساسي جداً في حالات الترجمة الفورية. فعنصر الزمن والوجود الفيزيقي (أو التموقع) للمتحدث يحددان معانى التعبيرات الخفيفة والاستخدامات الرمزية للغة عند الترجمة. وفي حالات الترجمة المكتوبة، يمكن لذات المتحدث صياغة خطاب أكثر صراحة من الشفهية. في هذا الإطار، يمكن القول إن المتغيرات اللغوية البعيدة عن اللغة الأصل، كما هو الحال بالنسبة للإنجليزية والفرنسية، أو عن ممارسات لغوية-اجتماعية أخرى، كما هو الحال بالنسبة للعالم العربي، تعتبر عاملا محددا في نجاح أو فشل التواصل في قطاع الخدمات العمومية.

التأثيرات الثقافية في الممارسات الخطابية

انطلاقاً من مبدأ أننا عندما نتكلم أو نكتب لا نفعل ذلك بشكل منفرد وإنما بمرجعيتين اجتماعية وثقافية، يمكننا أن نتخيل مدى أهمية العوامل الاجتماعية والثقافية في تكوين الصيغة النهائية للتراكيب اللغوية. إذ بدون إدراك ذلك، نرى أن المجتمع والثقافة يجريان الكلام على ألسنتنا ويكتبان بأيدينا، ذلك أن "الخطاب عبارة عن اللغة كممارسة اجتماعية تحكمها تراكيب اجتماعية"، طبقا لـ(Íñiguez Rueda, 2009:109) . كما أنهما يقرران ما يجب أن نقوله وما نسكت عنه، ونورد هنا بعض الأمثلة الواردة في استمارات بحث جيسيما ترويلا بالبيردي الذي أشرفنا عليه (Torruella Valverde, 2013):

س. إذن أنت لن تستطيعي أن تترجمي مثلا طريقة أخذ عينة الحيوان المنوي؟[1]

[1] السؤال موجه لمترجمة عربية، أعتقد أنها جزائرية المولد والتكوين الأولي وجميع هذه الأسئلة طرحتها الباحثة الكطلانية.

ج. بالطبع لا،أنا لن أستطيع أبداً أن أطلب أو أترجم هذا لرجل مسلم
س. وإن كان عربياً مسيحياً؟

- ج. مممممم... ولو كان مسيحيا، لأنه ينتمي لنفس الثقافة. أرأيت؟ لو كان أفريقيا لفعلت، لأن السود الأفارقة لا ينتمون لنفس الثقافة، لكن إن كان مصريا أو جزائريا أو أردنيا فلا، فهي أشياء لا تستطيع امرأة أبداً أن تتلفظ بها لرجل.
-

بهذه الطريقة فقط نستطيع أن ندرك، في الخطابات الأكثر تعقيداً، لماذا تعتبر الكتابات الأدبية أيضاً وثائق اجتماعية وثقافية (تاريخية). فنص الكاتب يدلنا على مجتمعه وثقافته، كما أننا من خلال معرفة العوامل الاجتماعية والثقافية لشخص ما نستطيع أن نفهم ونفسر كتاباته.

العامل الذهني

تعتبر المعرفة الذهنية (cognition) عاملا مهما جداً سواء في بناء الوحدات اللغوية أو في معالجتها. فنحن عندما نتحدث، بعيداً عن قواعد اللغة ومفرداتها، نتَّبع مجموعة من الأسس المعدة سلفاً. بمعنى أننا نتكلم "كما يتكلم الآخرون" و"كما يجب أن نتكلم" متبعين بشكل حدسي مجموعة قواعد اكتسبناها على مدار عملية تعلم اللغة واستعمالاتها. وجميعنايستحضر في ذهنه صورة الأب الذي يلوم طفله الصغير بلطف إذا لم يشكر من يقدم له هدية أو يداعبه بكلمة رقيقة. أي أننا لا نكتسب فقط اللغة وإنما قواعد استخدامها. يجب أن نتعلم التعبيرات التي يجب استخدامها أو تجنبها لجميع المواقف.

بالنسبة لموضوع "الحياء" والمحظور، نحن نفكر في شيء ما ونقول شيئا آخر أو نعبر عن نفس الواقع بطريقة و سياق معينيْن، فالفرق بين كلمتي "مقعد" أو"مؤخرة" ينبع –فضلاً عن مستوى اللغة- من السياق. وهكذا دواليك مع بقية المفردات المتعلقة بالجهاز التناسلي. لقد قصرت بعض الثقافات هذا الإطار الدلالي إلى حده الأدنى، فأصبح مألوفا في اللغة العامة ما لم يكن يقال من قبل. هكذا، نجد في الإسبانية أن كلمات مثل "قضيب" و"مهبل" لا تستدعي أي حرج عند ذكرها في عيادة الطبيب أو حتى في لقاءات الأصدقاء، مستبدلين بذلك كلمة "العضو الذكري أو الأنثوي". إلا أن مثل هذه الألفاظ تتسبب في حرج كبير في بعض الثقافات الأخرى، كالعربية مثلاً، مثلما نقلت Torruella Valverde, (2013: عن أحد من حاورتهم:

> يتم التعبير عن الأعضاء الجنسية بشكل مختلف (عما هو متداول في اللغة الإسبانية). فمثلاً يقال "الجزء الأسفل" أو "منطقة البول" بدلا من "مهبل". وعن الرجل يقال "العضو الذكري". هذا ما يقال في الجزائر على الأقل، لا أعرف كيف يعبر عن ذلك العرب الآخرون. ونفس الشيئ عن "الشرج"، حيث تطلق عليه النساء وبصوت خفيض "منطقة البراز".

لا يقتصر الأمر فقط على مثل هذه الكلمات والتعابير، بل في سياقات أخرى قد يخجل البعض أمام مستمع غريب عنه أن يتلفظ بألفاظ مثل "الحمل" أو حتى "الزواج". في هذه الحالات يمكننا القول بأن قاعدة ذكر هذه الكلمات أو تفاديها أو استبدالها بغيرها تأتي من العالم الذهني اللغوي والثقافي. هذا العالم الذهني الذي يحكم قواعد استخدام وتفسير اللغة. وعليه، يمكن القول بأن إطار التمييز بين ما يمكن وما لا يمكن قوله ينتمي إلى المجال الاجتماعي والثقافي. الأمر منسحب لا محالة على الترجمة في قطاع الخدمات العمومية حيث كثيراً ما يحدث سوء فهم نتيجة جهل العناصر الثقافية الخاصة بإطاري إنتاج واستقبال الخطابات غير التقليدية. فما يقال وما يفهم قد يختلفان

كثيراً حتى داخل نفس اللغة والثقافة. وخير دليل على ذلك ما قاله Juan Cercas, 2003:8 معلقا على المقابلة أو الحوار الأدبي والذي يمكن تعميمه على أنواع أخرى من المقابلات:

> يعتبر موضوع المقابلات نوعا أدبيا غريبا. يظن بعض الذين عانوا كثيراً من هذه المقابلات أنه عند الاطلاع على الواحدة منها فهو لا يقرأ أبدا ماقاله المستجْوَبُ، وإنما بالأحرى ما فهمه مُجري المحاور مما قيل له، وهذا أمر مختلف تماماً.

هذا التباين بين ما يقال وما يفهم شائع جداً في الترجمة في قطاع الخدمات العمومية، خاصة عندما يقصد المتحدث شيئا مختلفا عن ظاهر القول، بمعنى أن المتكلم –المهاجر غالباً ما يتفادى تسمية الواقع بنفس المسميات التي يستخدمها المترجم، ملقياً بذلك على عاتق المترجم مسؤولية تفسير ما يريد قوله. لذا فكل ماله علاقة بالجنس لا يعبر عنه بظاهر القول في العيادات الطبية المتخصصة في طب النساء إذا كان الطبيب ذكرا، أو حتى في مراكز المصالح الأمنية عند التبليغ عن إعتداءات جنسية.

الإطار التنظيمي للممارسات الخطابية

إن تنظيم الممارسات الخطابية التي يتدخل فيها شخص ثالث بين المرسل والمتلقي تعتبر مهمة من نوع خاص، حيث توجد فيها بشكل عام هذه التداخلات:

1. المترجم ينتمي للغة والثقافة المستقبِلة

في هذه الحالة يكوّنُ العاملان اللغوي والثقافي قاسما مشتركا بين ممثل السلطات العمومية أو غير العمومية والمترجم. فيستطيع المهاجر أن يقول للمترجم –بالنسبة لموضوعات الحياء والمحظورات- وبصراحة كل ما لا يمكن أن يقوله لمترجم من بني جلدته. ولأنه لا يتقاسم نفس الثقافة مع المترجم، يتحدث المهاجر بكل صراحة لأن مترجمه "لا يعلم" قواعد ما يجب أن يقال وما لا يجب أن يقال. تجدر الإشارة إلى أن الجنس يعد عاملا حيويا في هذا السياق. فإذا كان الثلاثة ينتمون لنفس النوع سيكون التواصل بينهم أكثر سلاسة مما لو كان أحدهم ينتمي لنوع مغاير خاصة إذا كانت طالبة الخدمة أنثى، ويكون أقل تعقيداً إذا كان أحد الاثنين المنتمين للغات الأوربية من نفس النوع الذي ينتمي له المهاجر، حيث يشعر الأخير أن هناك قاسما مشتركا آخر بينهما. يمكن القول بشكل عام إن النساء العربيات تفضّلن التعامل مع نساء مثلهن، ولهذا تستغل بعض المهنيات المتخصصات هذا العامل الثقافي تجاريا، كما تعكس ذلك طبيبة أسنان ألمانية تعيش في دبي AirberlinMagazin 12/2013: 14K)تقول: " النساء العربيات يشعرن بالراحة أكثر عند التعامل مع نساء مثلهن". هذه العوامل غير اللغوية تعتبر مهمة جداً لنجاح أو فشل عملية التواصل. فإذا أرادت إمرأة مثلا أن تبلّغ عن اغتصابها أو أن يتم فحصها من قبل طبيب النساء ستشعر بالراحة أكثر إذا كان من يقوم بالترجمة إمرأة مثلها؛ على الرغم من ذلك، هناك أشياء قد لا تفصح عنها صراحة إذا كان أحد رجلا، و على كل حال فالمصالح الأمنية الإسبانية غالبا ما تخصص إمرآة لتلقى شكايات وشكاوى النساء ضحايا العنف الأسري سواء كن مهاجرات أو مواطنات إسبانيات، عكس المصالح الأخرى كالطبية مثلا، حيث قد يصادف المرأة إختصاصي من غير جنسها، والذكور في هذه الحالة يبدو أنهم يشكلون الأغلبية.

2. المترجم ينتمي للغة والثقافة المصدِّرة

لو تم إعداد المترجم ليقوم بهذا العمل ولديه معرفة تامة بلغتي الاتصال، فهذا هو أفضل وضع، طالما لم تحدث أية من الحالات التالية:

أ. أن يكون المترجم رجلا ومتلقي الخدمة امرأة.

إذا ارتأت متلقية الخدمة أن المعلومات التي يجب أن تترجم تدخل في نطاق الخصوصية، فعادة ما يأتي رد فعلها على شاكلتين: إما أن ترفض الكلام وإن تكلمت فهي تفعل ذلك في أضيق الحدود الممكنة، وإما أن تتحدث ولكن بطريقة رمزية مما يجبر المترجم على إعادة تفسير ما تقوله مستعيناً في ذلك بمعلوماته الذهنية للكشف عما تريد قوله، ففي هذه الحالات يكون الفرق شاسعا بين ظاهر القول وباطنه، وبين ما قيل فعلا والمراد منه.

ب. أن يكون المترجم امرأة ومتلقي الخدمة رجلا.

من خلال خبرتنا المتراكمة في تنسيق خدمة الترجمة المكتوبة والفورية، رأينا وقوع نفس الحالات التي ذكرت في النقطة "١" وأحياناً أكثر. فالرجل العربي الكهل يشعر بالحرج عند التعبير عن حياته الخاصة والشخصية في حالة وجود امرأة أمامه من نفس ثقافته، أي عربية مثله، يتحوّل الموقف،على إثر ذلك، إلى موقف حواري مصطنع، مما يسبب إما ضيقا أو ضجرا أو ريبة لمقدم الخدمة، خاصة إذا كان من الجهاز الأمني، لأنه يشعر أنه لا يسيطر على الوضع بأكمله، بما أنه لا يعلم سر توتر متلقي الخدمة والمترجمة في نفس الآن، فيشك أحياناً بإخفائهما سرا. ويصبح الأمر أكثر سوءاً بالنسبة للرجل العربي إذا كان الضلعان الآخران في عملية التواصل من النساء. هنا تصبح إجاباته مقتضبة وأقل بكثير من الترجمة التي يؤديها المترجم الذي يفترض أنه يكرر ما قيل لا أقل ولا أكثر،من الشائع جداً، في هذه الحالة،أن نسمع من ممثل السلطات جملا كالتالية:

. لم يقل كل هذا!

-إنه يخجل من قول كل شيء!

-وأنت تساعده و تكمل له إجاباته طبعا. أليس كذلك؟

ظهرت هذه الممارسات الخطابية بين متلقي الخدمة ومقدمها والمترجم في السنوات الخمس الأخيرة، حيث إن هذه المعارف لم تدخل ضمن خدمات الجهاز الإداري للدولة. وهذه المواقف قد تكون حرجة فى بعض الأحيان. ولا يتوقف الأمر عند متلقي الخدمة، فالمترجمة أيضاً، بانتمائها للثقافة المصدّرة، تشعر ببعض الحرج عند تسمية الأعضاء التناسلية (Torruella Valverde, 2013) كما نرى في قولها الموالي:

> سأكون صريحة معك، للتعبير عن كلمة "فرج" أشير مباشرة إلى البطن، حيث يبدو لي غير لائق تسميته باسمه. أعرف أن المترجمين يترجمونه ك "منطقة البول" لكن هذه الترجمة قد تشير أيضاً إلى "القضيب" حيث يخرج البول أيضاً. بالعربية المغربية أقول للرجال "ديالك" فهي تعني "ذكرك" بالدارجة المغربية، وإذا استدعى الأمر أشير بتحفظ شديد. وبالنسبة للشرج، أقول كما نقول هنا "الجزء الخلفي" أو "الوراء".

تجدر الإشارة أيضاً إلى أن المترجم المنتمي للغة والثقافة المهاجرة يشعر أحياناً بأنه أعلى من متلقي الخدمة الذي ينتمي لنفس ثقافته ويلقي عليه باللوم لو فشلت عملية التواصل. وقد يصل المترجم أحياناً للتعبير بشكل صريح أو ضمني عن عدم تعاطفه مع الشخص الذي يفترض أنه يتقاسم معه لغته وثقافته؛ فيبدو المترجم هنا كمعلّم وفقاً لتصريح إحدى المترجمات:Torruella Valverde, 2013

> أن الثقافة الإسبانية تولي أهمية كبيرة للشفافية وللحق في المعلومة وكذلك لإرادة الأشخاص. وهذا الأمر ليس معتادا في بعض البلاد العربية. ففي الحالات الطبيعية، فالإطباء الإسبان غالبا ما يصارحون المريض بكل شيء وبشأن التوابع السلبية لدواء أو إجراء طبي ما، وغالبا ما يطلبون موافقته كتابة لإجراء أي فحص خاص أو عملية جراحية، وعندما يطلبون ذلك من أجنبي أو يطلبونه مني فأنا قد أفهم أن الأمر خطير للغاية لأني لست متعودة في ثقافتي على أن أستشار في كل ما يتعلق بي وبجسمي. فالماهجرون يفزعون جدا وينتابهم كثير من الخوف والريبة في هذه المواقف، لدرجة أن هناك بعض الحالات تتوقف فيها الأمور تماما بعدما كان كل شيء معدا وجاهزا للعملية الجراحية ، بما في ذلك التحاليل والصور وقاعة العمليات وغرفة النوم و...

على كل حال فهذا النوع من التواصل غير اللفظي لا يحدث فقط بين المترجم ومتلقي الخدمة بل في جل عملية التواصل في قطاع الخدمات العمومية. وفي هذا السياق وفي مجال الترجمة، يؤكد Corsellis (2008: 128-142) في الترجمة الإسبانية التي قام بها Valero y Cobás, 2010: 121-153 أنه:

> من المنظور الاجتماعي والثقافي، هناك مكوّن ضروري جداً لنجاح عملية التواصل ألا وهو لغة الجسد، وبخاصة لغة العيون وتعبيرات الوجة والإيماءات، ولغة اللمس، كالتقارب الجسدي والمسافة بين المتحاورين. فمعرفة قراءة هذه "الإشارات" مهارة عالية جداً تتوافر فقط عند أفضل محترفي الترجمة في الخدمات العمومية الذين يتمتعون بمعرفة حدسية للإشارات غير اللفظية داخل نطاق ثقافتهم.

هذه الإشارات مهمة جداً للتواصل وتحمل الكثير من المعاني بشكل غير لفظي. لهذا، فبناء ونشر المعرفة عن وسائل الاتصال هذه بين الباحثين في هذا الإختصاص يعني إظهار القواعد والمسلمات التي تحكم الممارسات الخطابية المميزة للمضامين الخصوصية والتي تعتبر "مخجلة". في النهاية يجب الاستمرار في توصيف الهيكل التنظيمي للخطاب الحميمي على أساس تحديد التأثيرات الذهنية التي تربط بين المعرفة الثقافية والاجتماعية وعملية التواصل بهدف وضع البحث عن "المحظورات" في الخدمات العمومية في إطار معرفي صحيح.

المتوقع وغير المتوقع

هناك عامل آخر من العوامل قيد الملاحظة في ترجمة المضامين "المخجلة" في الإطار الاجتماعي وهو عدم القابلية للتوقع. ليس كل شيئ يمكن توقعه وليس كل متلقيّ الخدمة من نفس الطينة. من المسلّم به بأن الثقافة تعتبر محددا رئيسيا لكثير من الممارسات اللغوية، لكنها لا تقوم بتصنيع متحدثين جاهزين ومتشابهين، إن الثقافة ليست مصنعاً لإنتاج المتحدثين "المستحيين" و"الخجولين"، نعم للثقافة تأثير كبير في صياغة التعبيرات اللغوية لكن المتكلم يمكنه أن يغيّر الترتيب المتوقع للتراكيب اللغوية ويتجنب الحتمية اللغوية التي تُفرض عليه. قد نجد أشخاصا يسببون الخجل للمترجم بدلاً من أن يشعروا هم أنفسهم بالخجل كما كان متوقعا، ومنهم بعض النساء وخاصة من شمال إفريقيا.

التأكيد والنفي

التأكيد والنفي موضوعان يجب أن يؤخذا على محمل الجد في الترجمة في قطاع الخدمات العمومية، خاصة في المجالين القضائي والطبي. ففي العربية لا يتم النفي بنفس الطريقة التي يتم بها في الإسبانية مثلا، فالسؤال "ألن تأتي؟" لو أنّ الإجابة هي فعلا نفي المجيء، أي أن المخاطب "لن يأتي" يجيب المتحدث الإسباني بـ "لا". وهو بذلك لا ينفي الجملة اللغوية وإنما ينفي فعل المجيئ، أي أنه يؤكده "لا، لن آتي"، في حين يجيب العربي بـ "نعم" أي نعم للجملة اللغوية القائلة "ألن تأتي؟"، فهو يؤكد على المضمون الدلالي للجملة، قائلاً ضمنيا "نعم، لن آتي". واللهجات العربية غامضة تجاه هذه المسألة ولا تتماثل دائما للقاعدة السائدة في العربية الفصحي، بل قد تكون بعض التعابير الدارجة أو العامية مثلها في ذلك مثل الإسبانية. لهذا فعلى المترجم أن يقيم إجابة كل متكلم على حده إذا ما تم طرح السؤال بصيغة النفي.

العوامل غير اللغوية

تعد الحركات إحدى العوامل التي يجب أخذها بعين الاعتبار أيضا، مثل الحركات الصامتة والابتسامة والضحكة والإيماءة والنظرة (Torruella Valverde, 2013). هذ النوع من اللغة قد يحمل أحياناً معلومات تتناقض ظاهرياً أو حقيقياً مع ما يقال لفظياً، مثلما يحكي هذا المترجم:

. احك لنا موقفا أو حادثا أو شيئا أدهشك وعايشته كمترجم في النطاق القانوني والقضائي، يكون فيه المترجمون من الغرب ومتلقي الخدمة من العرب أو العكس.

. نعم، هناك حالة عايشتها وأتعبتني كثيراً حتى تمكنت من فهم ما يقوله ذاك الرجل. جاء سيد طالباً للجوء السياسي، وعند سؤاله عن عدد إخوته أخذ في العد على أصابع يديه بصمت وأنا أنظر إليه: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، وهكذا لبرهة من الوقت. كنت أراه يجمع ويطرح مستخدماً كلتا يديه. في النهاية قال "إثنان". تخيل أنه ظل كل ذلك الوقت يعد بيديه الاثنتين وفي النهاية يقول لك إن لديه أخوين فقط، مما يجعلك تشك في أقواله، لكنه كان يقول الحقيقة، فعلى ما يبدو أن والده كان قد تزوج أكثر من مرة وكذلك والدته، وكان لديه إخوة غير أشقاء من كليهما وأنه ظن أنه في الغرب يعترف فقط بالأخوة الأشقاء. ومن لم يكن من نفس الأبوين لا يكون أخا.

-

صحيح أن لغة الحركات والسكون لها طبيعتها الخاصة. وهي أحياناً تساعد على فهم اللغة اللفظية، إلا أنها في أحيان أخرى تزيد الأمور تعقيداً فيما يتعلق بالتواصل، كما في المثال السابق. وعليه، فلغة الحركات تستخدم كثيراً في العالم العربي للإشارة إلى بعض الكلمات التي يعتبر النطق بها غير لائق في بعض المواقف. أخذا في الاعتبار أن بعض النساء العربيات تتخذ من أبنائها الصغار مترجمين لهن في كثير من الدول الغربية، وعندما يدور موضوع الحوار أو أسئلة الطبيب عن العلاقات الجنسية و توابعها، تحس المتكلمة بالخجل وتلجأ لاستخدام لغة الحركات. في مثل هذه الحالات، تستبدل مفردات اللغة الطبيعية بلغة الإشارة، مما يعقد أكثر عملية التواصل لعدم تطبيق اللغتين والثقافتين نفس قواعد استخدام وتفسير اللغة الإشارية المستعملة. هذه الصعوبات تحدثُ عادة عندما ينتمي المترجم للغة والثقافة التي يترجم إليها (المستقبلة).

العامل الأيديولوجي

يعتبر هذا العامل هاما جداً في بعض الحالات في عملية التواصل في قطاع الخدمات العمومية (Freeden, 2013: 22). وهكذا فإن العلاقة بين مقدم الخدمة ومتلقيها من ناحية والمترجم من ناحية أخرى تستمد أصولها كذلك من العامل

الأيديولوجي والمفاهيم المستقرة في ذهن كل منهم عن الآخر. فالمواقف والمعتقدات الشخصية أو الجماعية ليست بعيدة عن عملية تبادل المعلومات بشكل عام، لكنها تكتسب بعداً خاصاً بالنسبة للترجمة في قطاع الخدمات العمومية لأننا في هذه الحالة نتعامل مع "الآخر"، بسلسلة من المواقف تتراوح بين الإحساس بالأبوية الزائدة وبين الرفض القاطع له، بصرف النظر عن الإجراءات الإدارية الواجب اتباعها. وهذه التداخلات يكون لها تأثير على طريقة معالجة واستقبال والتعاطي مع مفهوم "الحياء" أو ما يمكن اعتباره من المحظورات، فقد لاحظنا بعض التأثيرات الأيديولوجية في تكوين قناعات من شأنها تعطيل عملية التواصل، ومنها الربط بين "الحياء/المحظور" وواقع أو ثقافة كنا "نحن" هكذا وقد تجاوزناه، مما يعنى أن الآخر متأخر ثقافيا وفكريا، و...أو اعتبار الحياء انعكاساً لعدم النضج الثقافي. وبالفعل فموضوع الجنس ومشتقاته السيميولوجية لا يتم التعامل معه بنفس الطريقة في إسبانيا كما في الثقافات العربية. ففي العالم العربي هناك فكرة شائعة مفادها أن للغرب أزمة ثقافية حقيقية مع موضوع الجنس وأنه انتقل من نفي الجنس كشيء كريه في العصور الوسطى وفي بعض الأوساط المسيحية المتدينة للتصريح به علناً في الأماكن العامة. أما العرب فينظرون إليه على أنه موضوع شخصي وخاص، يمكن الحديث عنه في أوساط خاصة بين المتكافئين. وبالفعل فإن كثيرا من النساء الغربيات يشعرن بالخجل عندما يتم سؤالهن، في إجتماعات نسوية مع العربيات، عن الوسيلة التي يستخدمنها لمنع الحمل أو عن مدى تكرار علاقتهن الجنسية. المستنبط من هذين المثالين أن المشكلة ليست في نفي أو إثبات الجنس وإنما في طريقه التعاطي معه، بما أن الغربية تشعر بالحرج من المرأة العربية، التي لا تكاد تعرفها، والتي تسألها عن طبيعة علاقتها الجنسية، فالعربية كذلك لا تقبل الكلام عن هذا الموضوع، إلّا إذا كان بين الأنداد.

هذا النوع من القواعد هو الذي عادةً ما يعسر عملية التواصل، فليست للموضوع إذن علاقة بالمحافظين أو التقدميين، باليمين أو باليسار، بالتقدم أو بالتخلف، وإنما بقواعد التعامل معه وإدراكه. ففي كثير من الثقافات العربية، يتم التعامل مع الجنس على أنه ضرورة بيولوجية، مثلها في ذلك مثل الأكل والبراز، وبالفعل ففي الثقافة العربية الأصيلة لا أحد يتكلم أمام الناس عما أكله في جوف بيته أو عن عدد مرات ذهابه إلى دورة المياة. هذه المقارنة قد تبدو غريبة ومهينة، لكنها الأقرب إلى واقع الحال، إن تعبيرات لغوية ميكانيكية مثل "تغيير الزيت" أو "تفريغ الزيت" أو "شحن البطارية" وتعبيرات بيولوجية من نوعية "إشباع الحبيب أو الحبيبة" و تعبيرات قانونية مثل "الوفاء بالإلتزامات الزوجية" أو "المعاشرة الزوجية" كلها تشير إلى موضوع واحد: الجنس. والجنس في الثقافات العربية يتم التعامل معه بشكل عام من خلال الاستعارات، فالإفصاح الصريح عنه يلقي بالمتكلم في نطاق الإسفاف والسفه الاجتماعيين. بالفعل فإن التلفظ بتعبيرات جنسية صريحة –بعيداً عن الإطار الخاص-لا يُسمع في الشارع إلا من مدمني الخمور والمخدرات أومن ذوي الإعاقات الذهنية. حتى في الدوائر الخاصة، وعندما يتطرق الحديث صراحةً إلى الجنس وذكر الأعضاء الجنسية وطرق ممارسة الجنس المختلفة، لا يشير أحدٌ أبداً إلى زوجته/زوجه وإنما إلى أي علاقة أخرى عابرة أو إلى الجنس بشكل عام أو إلى عالم الدعارة. عندما يتحدث عربي بصراحة عن الجنس فهو يضع نفسه أو زوجته في مكانة أقل مما تحتمه الأعراف والقواعد الإجتماعية، ونفس الشئ وإن كان عكسيا بالنسبة لثقافات شعوب أخرى.

حينها يظن مقدّم الخدمة الإسباني أن هؤلاء العرب ليست لديهم ثقافة جنسية أو أنهم على نفس الحال التي كان هو عليها قبل خمسين عاما، في حين يصنف العربي من يحادثه على أنه مكبوت جنسياً أو قليل الحياء،لا يشعر بذاته إلا إذا تكلم عن الجنس. وبالفعل تكثر في أوساط المهاجرين العرب ذكورا وإناثا أيضا بعض الأفكار النمطية عن الغربيين بشكل عام، من قبيل:

- أنهم يقتصرون في الجنس على الكلام.
- لسانهم طويل ويستخدمونه في كل شيئ.
- يتكلمون كثيراً ويشتغلون قليلاً.
- لهم النظرية بلاتطبيق.
- إذا كان اللسان فقط طوال الوقت فمن الأفضل للواحدة أن تقتني كلباً، مما يوفر عليهاغسل الملابس الداخلية وكي الأقمصة.
- إنهم مزدوجوا المحرك، واحد من الوسط للأعلى والثاني–لا يشتغل إلا قليلا من الوسط للاسفل.
- يقضون طوال الوقت في القبلات ولا يفعلون غير ذلك.
- زيادة نسبة العري في الشارع وفي الفن تفجير لكبت، فمن المفروض ألا يتحول المعاش لو كان معاشا إلى أسطورة وفن. ليس هناك داع لرسم لوحة عارية لرؤيتها.
- عندما تقول الغربية إنها ستلبس للخروج فمعناه أنها ستخلع ملابسها للخروج. المفروض أن يكون العكس.

-

الأفكار الشائعة لا تتكون فقط عند الأكثرية عن الأقلية بل العكس أيضاً، و تبدأ التأثيرات الأيديولوجية في التفاعل منذ اللحظة التي يمثل فيها مقدم الخدمة ومتلقيها الصوت الجماعي أو الجمعوي بضمير الجمع "نحن"، مشيراً إلى الآخر بـ "أنتم"أو أحيانا بـ "هم" إذا توجه بحديثه للمترجم؛ وأحيانا يكون المترجم ممن يشملهم ضمير المخاطب "أنتم" في خطاب مقدّم الخدمة. هكذا عندما يستخدم أحد طرفي المعادلة صيغة الجمع في التعامل مع الآخر تتعقد عملية التواصل، خاصة عند الحديث عن تلك الأمور التي تعتبر حميمية وخاصة.

الخاتمة

يعد موضوع "المحظور" في الترجمة في قطاع الخدمات العمومية من الموضوعات ذات دور كبير في إنجاح عملية التواصل. وجب التذكير بأن فعالية التواصل وسلاسة الخطاب لا تقوم بشكل حصري على إتقان المظاهر الشكلية للغات وإنما تعتمد أيضاً على سلسلة من المحددات الاجتماعية والثقافية والأيديلوجية. فمن الواضح أن التعبير عن العلاقات الزوجية أو الجنسية يختلف من الثقافة العربية إلى الإسبانية. لهذا يتسبب في بعض الحرج عندما يتم الإفصاح عنه خارج الدوائر الخاصة. وعلى الرغم من ذلك يعتبر هذا الخطاب طبيعيا إذا ما تم بين أقران من نفس الجنس. في مثل هذا السياق لا يعد الكلام عن الجنس ضربا من ضروب الرذيلة، بل موضوعاً عادياً. ويكون ضمنياً واستعارياً إذا كانت هناك فروق في الأعمار أو في النوع، ففي هذه الحالات يتجنب الحديث عن الجنس مع أشخاص من أعمار أو أجناس مختلفة، إلا إذا كانت محاضرة في التربية الجنسية أو التناسل حيث يلقي الأكبر سناً الدرس على من هم أصغر. بالنسبة للنساء فمنذ سن المراهقة يتكلمن بحرية عن موضوعات الحمل والولادة والأمراض والتشوهات الجينية مع أمهاتهن أو أقربائهن من النساء حتى في البوادي النائية.

لعله في الحالات جميعها تتحكم ثلاثة عوامل بالغة الأهمية في الحديث عن الجنس: الزمان والمكان والنوع. من الشائع أن نسمع من العربيات جملاً من نوعية: ليس هذا هو المكان المناسب للكلام في هذا الأمر، الآن لا نستطيع الكلام عنه ، مازال الوقت مبكراً للكلام مع الأولاد في هذه المسألة. علما أن عدم أخذ هذه العوامل بعين الاعتبار بالنسبة للترجمة في قطاع الخدمات العمومية، قد يجرّد كثيرا من المفاهيم من معانيها، خاصة فيما يتعلق بالتمييز بين المجالين الخاص و العام، فالفروق بينهما فروق ثقافية. أما في إسبانيا فالحيز الخاص صغير ويكاد يكون شفافا، لكنه

كبير وغير شفاف في العالم العربي. وأي اعتداء على هذا الحيز يعتبر انتهاكا لحرمة الناس. في حين أنّه في إسبانيا . مجال هذا البحث . تبدو الحدود بين ما هو عام و خاص–من وجهة نظر العرب- غير واضحة المعالم. أما في العالم العربي، فالحيز العام –مثله مثل الخاص له حرمته غير قابل للانتهاك. أي أنه يعتبر ملكا للجميع ويجب الحفاظ عليه محايداً، والجنس، في هذا الصدد، ينتمي للحيز الخاص وليس للعام. ومن هنا فالشفافية الغربية في موضوعات الحب والجنس تعتبر غريبة على كثير من الثقافات الشرقية، من بينها العربية. صحيح أنه يمكننا أن نجد بعض مظاهر الحب في الشارع العربي، لكنها ناتجة عن حركة التغريب والعولمة (عولمة القيم) التدريجية لكثير من أنحاء العالم. ولهذا الأمر انعكاساته أيضاً على ترجمة الخجل في قطاع الخدمات العمومية. ليست هناك قاعدة صالحة لكل الحالات بالتساوي، فقد نجد –ولو بنسبة قليلة- أشخاصا يتكلمون بصريح العبارة عن الجنس،خاصة من الرجال. لكنه استثناء وليس قاعدة.

المصادر

- Ann Corsellis (2008: 128-142) en *Public Service Interpreting. First Steps.* Sydney*:* Palgrave Macmillan.
- Cercas, J. (2003): «El arte de la entrevista», *El País – semanal*, nº 1374, p. 8. (Domingo 26 de enero de 2003)
- De Epalza, M. (Edit.) (2004): *Traducir del árabe*. Barcelona: Gedisa.
- El-Mmadkouri, M.: *Lengua y cultura en la traducción de la terminología jurídica árabe (el caso del Estatuto Personal).* (Se adjunta en Pdf).
- El-Madkouri M. y B. Soto Aranda., B. (2012).: *«Aspectos lingüísticos y extralingüísticos de la traducción jurídico-administrativa de documentos africanos en francé.s», Synergies Espagne*, 5: n° 5, pp. 111-128.
- El-Madkouri Maataoui, M. (2012): «Lengua y Cultura en la traducción de la terminología jurídica árabe (el caso del estatuto personal)», *Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islámicos - VOL. XXXIX* . Madrid: Instituto Egipcio de Estudios Islámicos.
- El-Madkouri, M. (2008.): «Lengua oral y lengua escrita en la traducción e interpretación en los Servicios Públicos». Tonos digital, 15 , [Disponible en http://www.tonosdigital.com/ojs/index.php/tonos/article/view/183/143]-.
- Freeden, M. (2013.): *Ideología: Una breve introducción* (traducción de Javier Fernández Sebastián). Santander: Ediciones de la Universidad de Cantabria.

intérpretes y traductores. Habilidades y competencias interculturales», en Carmen Valero -Garcés (Ed.). *Traducción e Interpretación en los Servicios Públicos. Contextualización, actualidad y futuro.* Granada: Comares. 71-90

- Íñiguez Rueda, L. (2009). *El análisis del discurso en las ciencias sociales: variedades, tradiciones y práctica*. Barcelona: editorial UOC.
- La grande encyclopédie (1976) : *Librairie Larousse* (V.19), p. 12066.
- Nida, E. A y Taber, Ch. R. Taber. (1974.): *La traducción: teoría y práctica.* Madrid: Editorial Cristiandad.
- Richart, M. y Richart Marset, M. Richart Marset. (2012.)**:** *Ideología y traducción: por un análisis genético del doblaje*. Madrid: Biblioteca Nueva.
- Torruella Valverde, J. (2013.): *La adecuación en la interpretación en los SS. PP. Comunicación no verbal, temas «tabú» y reacción a ciertos rituales (Árabe- Español).* Trabajo de Fin de Máster, Máster Universitario en Comunicación Intercultural, Interpretación y Traducción en

los Servicios Públicos; Universidad de Alcalá de Henares (realizado bajo la dirección de Mohamed El-Madkouri)
• Valero Garcés, C. (2008.): *Formas de mediación intercultural***.** Málaga: Comares.
• Valero Garcés, C. (2011): *Traducción e Interpretación en los Servicios Públicos en el siglo XXI*. Alcalá de Henares: Universidad de Alcalá de Henares.